

تحليل الخطاب الديني المسجدي النسوي

الدكتورة سهام مادن

كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر.



بشيء من التفصيل".

وأشار الأصوليون إلى تطور مصطلح الخطاب، فهو في مجالهم يدل على ما خوطب به وهو الكلام، ويضيف الكفوري في (كلياته) عنصرا جديدا وهو الجانب النفسي فيقول: "إن الكلام اللفظي أو النفسي الموجه نحو الغير للإفهام"، وهو تعريف موافق لتعريف الغزالي في المستصفى.

كما أضافت الدراسات اللغوية الحديثة عناصر الخطاب، ففيرث Firh عالم اللغة البريطاني في العصر الحديث يركز على وظيفة الخطاب

تحديد مفهوم الخطاب: الخطاب أحد مصدري فعل يخاطب مخاطبة وخطابا، وهو يدل على توجيه الكلام لمن يفهم، ويعرفه ابن منظور قائلا: "الخطاب مراجعة الكلام".

وتعرفه المعاجم الحديثة مثل محمد علي الخولي فيما يلي: "إيصال المعنى إلى السامع عن طريق الكلام، وعرفه إبراهيم فتحي قائلا: "الخطاب تتسلسل فيه الكلمات وتترتب، وعرفه رمزي البعلبكي قائلا: "الخطاب قد يكون شفويا أو تحريريا ويعالج موضوعا

مصطلح (النص) غالبا مقابلا لمصطلح (الخطاب) كما هو الحال في دراسات جنين وتودوروف (Todoov) وفاينريش (H. Weinich).

ونجد أن (فان ديك) يقدم تمييزا أكثر تحديدا فهو ينظر إلى النص بوصفه بنية عميقة بينما يمثل الخطاب بنية سطحية، أو ينظر إليهما بوصفهما مظهرين: المظهر التجريدي والمظهر الحسي، والنص مظهر تجريدي، بينما الخطاب يجسده وحدة لسانية تتجلى في ملفوظ لغوي.

فالنص وحدة مجردة لا تتجسد إلا من خلال الخطاب كفعل تواصل.

ومن خلال الدراسات المختلفة يتبين لنا أن الخطاب كلمة تستخدم للدلالة على كل كلام متصل اتصالا يمكنه من أن ينقل رسالة كلامية من المتكلم أو الكاتب، وليس كل خطاب نصا وإن كان كل نص بالضرورة خطابا، فالكلام المتصل خطاب، ولكنه لا يكون نصا إلا إذا اكتمل ببداية ونهاية وعبر عن موضوعه ببناء متماسك

باعتبارها عملية اتصال تتم في إطارين: الإطار اللغوي وهو عبارة عن جمل مكتوبة أو منطوقة ينتجها مرسل واحد أو عدة متخاطبين كما يحدث في الحوار أو غيره، وإطار غير لغوي يشمل العادات والأعراف والتقاليد والأخلاق وهو ما أطلق عليه مصطلح (إثنوجرافيا الخطاب)، والخطاب باعتباره حدثا كلاميا يتألف من عدة عناصر هي: المرسل، والمستقبل أو الجمهور، والرسالة أو الموضوع، والهدف.

ويربط بعض علماء اللغة هدف الخطاب بالأثر الذي تحدثه وسيلة الاتصال بين المرسل والمتلقي، وقد عبروا عن هذه الوسيلة باستخدام كلمة قناة (Channel)، والقنوات المتاحة لمنتج الخطاب كثيرة.

ويتداخل مفهوم النص والخطاب تداخلا كبيرا لدرجة يصعب معها أحيانا التمييز بينهما، مما دفع بمحري المعجم الموسوعي للسيمائية، إلى معالجة المفهومين في فقرة مشتركة، وفي مجال السرديات يستخدم

منسجم.

وأما تحليل الخطاب فيعني تكوين الفروض التي تتعلق بالمخاطب، والمخاطب، وروابط الخطاب، ودرجة اتصاله، وتماسك الأبنية المكونة له، كما يتطلب تجريدا للمعلومات المتصلة باختيار الألفاظ والتراكيب والمعلومات المكونة للخطاب، وتحولات الزمن والدلالات فيه.

إنه لا يمكننا أن ندرس النص والخطاب بمعزل عن السياق كما أشرنا سابقا، ولهذا فستتطرق الآن إلى تحديد مفهوم السياق.

- مقومات الخطاب: يركز الخطاب أساسا على عنصرين أساسيين هما: اللغة والسياق، ولهذا فلا بد من توضيحهما:

- تحديد مفهوم اللغة ومستوياتها: عرّف ابن جني اللغة في قوله: "حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم..."

فاللغة المنطوقة هي عبارة عن

أصوات يعبر بها المرء عن حاجياته، فهي أداة للتبليغ وهذا الذي وضعه الدكتور الحاج الصالح في قوله: "اللسان هو قبل كل شيء أداة للتبليغ والتخاطب وبعملية التبليغ تتبلور وتتحدد الأفكار والمعاني (بعد أن كانت مجرد أحاسيس)..."

فالمنطوق إذن هو كل ما يصدره الإنسان من أصوات لتبليغ مراده والدليل على ذلك أن الإنسان يبدأ في الكلام - وهو طفل صغير - بإصدار أصوات وهذا يحصل بعد الأسبوع العاشر من ولادته تقريبا وقد عبر عنه الدكتور الحاج الصالح في قوله: "إن أول ما يحاول الطفل اكتسابه من العمليات الكلامية هو النطق بما تدركه أذنه من الأصوات اللغوية وهذا يحصل بعد الأسبوع العاشر من ولادته تقريبا حيث كان قبل ذلك لا يلفظ ولا يقطع صوته بل يستهل فقط أن يسمع صراخا له علاقة بأحواله الجسمية".

يستعمل الخطيب اللغة المنطوقة أكثر من اللغة المكتوبة، ولهذا فلا بد

من معرفة مستوياتها.

5 - خصائص المنطوق: للمنطوق

مميزات وهي:

أ- المنطوق أصل والمكتوب فرع

عليه:

قال ابن خلدون: "فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم، يسمع كلام أهل جيله، وأساليبهم في مخاطبتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم، كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها، فيلقنها أولاً، ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك، ثم لا يزال سماعهم لذلك يتحدد في كل لحظة ومن كل متكلم".

فاللغة قبل كل شيء منطوقة كما قال عبده الراجحي: "أما أن اللغة أصوات...".

فالإنسان يتعلم اللغة في مظهرها المنطوق أولاً، ويمر بمراحل حتى يكتسبها، أولها فترة الصراخ التي تلي الولادة مباشرة وهي كما قال الدكتور حنفي بن عيسى: "والصراخ

في الواقع، إنما هو مظهر عفوي من مظاهر الهيجان. وتليها فترة المناغاة وهي عبارة عن مقاطع صوتية يتلفظها الطفل ثم مرحلة تقليد الأصوات المسموعة، فتليها المرحلة اللغوية التي تمر بمرحلتين: مرحلة تعلم المفردات ثم مرحلة تركيب الجمل.

وهذا يعني أن المنطوق أصل، بما أن الإنسان في أول مراحل تعلمه ينطلق من المنطوق ثم بعد ذلك يتجه إلى اللغة المكتوبة، أضف إلى ذلك أن الإنسان الأمي يملك لغة منطوقة، ولا يعرف كتابتها.

وهناك كثير من الباحثين من أكدوا وبرهنوا على أن المنطوق أصل كقول الباحثة فطومة السويسي: "لغة التخاطب أو اللغة المنطوقة هي الأصل ولغة التحرير أو اللغة المكتوبة فرع عليها.

وعليه فالمنطوق أصل لتعلم اللغة، فالطفل في بداية مراحل تعلمه الأولى للغة يبدأ بالمنطوق ويقطعه في مراحل، ثم بعد ذلك يلجأ إلى تعلم اللغة المكتوبة.

د-مراعاة المنطوق للمقام: قال

الجاحظ: "إن استعمال أية لغة في التخاطب اليومي مرتبط أشد الارتباط بموافقة الحال وما يجب لكل مقام مقال..."

فالنسبة هي الحال الناطقة كما قال الجاحظ، والإشارة فباليد وبالرأس وبالعين وبالحاجب وبالمنكب كما قال أيضا.

والمتكلم مقيد بمحيطة، فتراه يستعمل إشارات اليدين إذا كان السامع بحاجة لمزيد من التوضيحات كاستعمال الخطيب لإشارات اليدين، وتقطيب الحاجبين، بل وحتى رفع الصوت وخفضه له دلالة في حد ذاته، أضف إلى ذلك أن المتكلم يراعي مستوى مخاطبه أي درجة استيعابه للخطاب، فلو تردد في قبوله للخطاب لاحتاج المتكلم إلى مزيد من الأدلة والقرائن.

وهذا ما وضحته الدراسات اللسانية، بحيث ذكر أندريه مارتن أن المقام هو الذي يحدد نوعية الخطاب

ب-المنطوق أسبق زمانيا من

المكتوب: الروابط التي تربط الكلمات بعضها ببعض وأجزاء الجملة بعضها ببعض فإما ألا يدل عليها إلا دلالة جزئية بالاستعانة بالتنعيم والإشارة إذا اقتضى الحال...

فالمتكلم في المنطوق يعتمد الاقتصاد أساسا لبذل أقل جهد ممكن من جهة، ومن جهة أخرى فهو يستعين بوسائل غير لسانية تساعد على التبليغ.

إن مبدأ الاقتصاد اللغوي حث عليه الدراسات اللسانية الغربية الحديثة فهذا أندريه مارتن يؤكد على مبدأ الاقتصاد اللغوي كما أشارت الباحثة فطومة السويسي إلى ذلك حيث قالت: "فتسهيلا للنطق وتقليلًا من العمل التلفظي يحذف المتحدث دون شعور منه كل ما يمكن الاستغناء عنه في الخطاب بشرط ألا يخل هذا الاختصار بمعنى الخطاب الذي يريد أن ينقله لسامعه..."

فالمتكلم يقتصد دون إرادة بل كلما سمح المقام بذلك.

قواعد لها.

وفعلا فلو رجعنا إلى تاريخ نشأة الكلام الإنساني لوجدنا أن اللغة الإنسانية كانت في البداية عبارة عن محاكاة لأصوات الحيوان وظواهر طبيعية، فأصلها إذن منطوق وهذا ما أكدته الدكتور جعفر دك الباب حيث قال: " ويعني ذلك بالضرورة أن الكلام الإنساني قد مر في نشأته بطور أولي كان أصل المعجم اللغوي فيه عبارة عن محاكاة لأصوات الحيوان وظواهر طبيعية..." وعليه فاللغة المنطوقة أسبق زمانيا من اللغة المكتوبة.

ج- اعتماد المنطوق على مبدأ

الاقتصاد اللغوي: إن الإنسان يسعى دائما إلى بذل أقل جهد ممكن في الكلام، وهذا ما أكدته الدراسات اللسانية القديمة والحديثة، فسيبويه مثلا أنه بإمكاننا إضمار الفعل إذا كانت هناك قرائن تدل عليه وذلك في باب ما جرى من الأمر والنهي على إضمار الفعل المستعمل إظهاره إذا علمت أن الرجل مستغن عن لفظك بالفعل،

حيث قال: " إن كل الخطابات تخضع للمقام، فنحن عندما نبلغ لغويا تجربة ما نضطر لمراعاة حال المخاطب ودرجة استيعابه للخطاب.

وبالفعل فإن عملية التخاطب في المنطوق تتم بين المتكلم والمخاطب، وهذه الوضعية هي التي تحدد نوع الخطاب، وقد أشار إلى ذلك J-Peyad في قوله: " الخطاب الشفوي يعتمد على متكلم ومخاطب..."

فمما سبق ذكره لاحظنا أن المنطوق هو المرحلة الأولى لتعلم الإنسان اللغة وهذا ما أكدته الدكتور ميشال زكريا في قوله: " اللغة المحكية سابقة زمانيا اللغة المكتوبة غني عن الذكر أن الإنسان يتعلم تكلم لغته قبل أن يتعلم كتابتها".

وأضاف قائلا: " إذا اللغة المحكية سابقة، من حيث الزمن، للغة المكتوبة، والعودة إلى تاريخ اللغات المعروفة تثبت هذا الواقع بوضوح إذ تلاحظ أن اللغات كانت في الأساس محكية إلى أن تم في مرحلة لاحقة من مراحل تطورها، تشيبتها في الكتابة ووضع

إلا دلالة جزئية بالاستعانة بالتنعيم والإشارة....".

ونضيف قائلين أن من مميزات المنطوق الاعتماد على الوسائل غير اللسانية كالتنعيم والإشارات، وقد قال فرانسيس بال في ذلك: "حتى في إطار الخطاب المنطوق، الدلالة قد تكون ضمنية وذلك عن طريق وسائل غير لسانية كالتنعيم والإشارات".

وقالت الكاتبة كاترين كربات: "في المنطوق، لها دلالة في حالة ما....".

فالمنطوق يعتمد أساساً على المقام، وهو الذي يوجه الخطاب، ومنه يمكن القول أن من خصائص المنطوق مراعاة المقام.

مستويات المنطوق: إن اختلاف استعمال اللغات من متكلم لآخر يخضع للاختلاف الاجتماعي كما قال Chisian Baylon: "الاختلاف اللغوي مرتبط أشد الارتباط بطبيعة الجماعات والفئات المتواجدة في المجتمع".

وذلك كقولك: "زيدا، وعمرا، ورأسه، وذلك أنك رأيت رجلا يضرب أو يشتم أو يقتل"، فاكثفت بما هو فيه من عمله أن تلفظ له بعمله فقلت: "زيدا، أي أوقع عملك بزيد"، أو رأيت رجلا يقول: أضرب شر الناس، فقلت: "زيدا"، أو رأيت رجلا يحدث حديثا فقطعته فقلت: "حديثك، أو قدم رجل من سفر فقلت: "حديثك، استغنيت عن الفعل بعمله أو مستخبر، فعلى هذا يجوز هذا وما أشبهه".

وهذا ما ذكره فندريس بقوله: "تمتيز لغة الكلام بأنها تقتصر على الاهتمام بإبراز رؤوس الأفكار، فهي وحدها التي تطفو وتسود الجملة...".

وسبب ذلك هو أن المتكلم في المنطوق يعتمد على وسائل لسانية وغير لسانية تساعد في التبليغ كإشارات اليدين وحركات العينين، ورفع وتخفيض الصوت وهذا ما أكده فندريس بقوله: "أما الروابط التي تربط الكلمات بعضها ببعض وأجزاء الجملة بعضها ببعض فإما ألا يدل عليها

كيف ذلك؟

إن المجتمع طبقات سواء قسمناه من الناحية الثقافية أو من الناحية الاقتصادية، فمن الناحية الثقافية يمكننا تقسيمه على النحو التالي:

1 - فئة الأميين وتمثل أدنى الطبقات.

2 - فئة المستوى المحدود (مستوى ابتدائي ومتوسط).

3 - فئة المستوى المتوسط (مستوى نهائي).

أما من الناحية الاقتصادية فمجتمعنا الجزائري أيضا طبقات وهو كالتالي:

1 - الطبقة ذات الدخل الضعيف.

2 - الطبقة المتوسطة.

3 - الطبقة الغنية.

انطلاقا من مختلف الدراسات اللغوية التي قدمها علماء علم الاجتماع اللغوي أمثال: Christian Baylon, J.B Marcellesi, William Labov توصلنا إلى بعض النتائج سنحاول

تطبيقها على واقعنا اللغوي الجزائري وهي:

1 - لا يمكننا على أية حال عزل اللغة عن المحيط الاجتماعي الذي تنشأ فيه لأنها كائن اجتماعي.

2 - تختلف الكيفيات الأدائية من جنس لآخر أي من النساء للرجال حتى وإن كانا ينتميان لنفس الطبقة.

ومن هذا المنطق سوف نحدد مستويات اللغة وسنبدا بـ:

مستويات اللغة المنطوقة وهي:

أ- المنطوق العامي الدارج: هو الاستعمال الأقل معيارية للهجات...

فهذا المستوى العامي الدارج يمثل أدنى المستويات في المنطوق الجزائري، ونقصد بالعامية الدارجة عامية كل فرد جزائري مهما كان انتماءه الجغرافي، لأنه كما نعلم أن الوطن الجزائري يضم مدنا عديدة متوزعة في الشمال والجنوب، والغرب والشرق، والاختلاف الجغرافي أدى إلى الاختلاف اللهجي، ولكن هذه

الأمازيغية اللغة الأم كما قال الباحث محمد بحيان: "الشعوب ذات اللغات الأم البربرية (...) هي غالبا مزدوجة اللغة (بربرية/ عامية عربية)..."

وثانيا: كثيرا ما يمزج المتكلم في عاميته الدارجة بعض التراكيب الفرنسية وتكثر هذه الظاهرة في المدن وخاصة في الشمال، حيث قد تكون عفوية عند البعض، وعند البعض الآخر تصنعا وتكلفا عند النساء الماكثات بالبيت واللواتي ينتمين إلى الطبقة البرجوازية إذ تعتمد هذه الفئة على تنميق الكلام لأنه علامة رقي وحضارة وهو تابع لزخرف البيت وقد قال Christian Baylon: "رجال ونساء من نفس الطبقة الاجتماعية لا يتكلمون بالضرورة بنفس الطريقة".

وعلى كل تبقى العامية الدارجة عامية أغلب الجزائريين، وتبقى العوامل الاجتماعية هي المحرك الأساسي لهذه اللغة وغيرها.

ب- المنطوق العامي المتفصح:
ونقصد به اللغة العامية الأقرب

العامية الدارجة ملك كل فرد جزائري مهما اختلفت لهجته كما قال الباحث محمد يحيان: "بجانب اللغة العربية الفصحى، نجد العامية بـ"تأديات جهوية مهمة إلى حد ما" فهي لغة التخاطب اليومي لأغلبية الشعب.

ولو حاولنا استقصاء مجالاتها لقلنا أنها أكثر المستويات انتشارا لأنها لغة الأمي ولغة المتعلم، تستعمل في الجلسات العائلية وغيرها وهي أصلا اللغة الأم أي الأولى التي تكلمها الفرد الجزائري، ولكن علينا الإشارة إلى نقطتين أساسيتين وهما:

1 -انتشار اللهجات الأمازيغية في الجزائر.

2 -انتشار اللغة الفرنسية في الجزائر.

أولا: اللهجات الأمازيغية وهي اللغة الأصلية للمغرب العربي ومنها الجزائر، وإن كانت اللغة الرسمية فإن هذا لم يمنع أن في بعض جهات الوطن وخاصة القبائل الكبرى، والأوراس، وقبيلة بني ميزاب حيث ظلت اللهجات

الحالات (تلك التي تقتضي نوعاً من الانقباض النفسي والفيزيولوجي...) وأن اللغة المنطوقة أكثر عفوية من لغة التحرير وقد انتبه علماء البلاغة قديماً إلى هذا فقسموا الألفاظ إلى لفظ حوشي وغريب وجزل ومبتذل ووسط ولكل منها مقام...".

فاللغة تخضع لمفهوم المقام، فمتى شعر المتكلم بانقباض استعمال اللغة الفصحى الأقرب إلى العامية.

نضيف كذلك إلى أن العامية المتفصححة لا تلتزم الإعراب، وإن كان سقوط الإعراب موجوداً أيضاً في المنطوق الفصيح، وهذه الخاصية اللغوية قديمة قدم اللغة العربية إذ قال عنها الجاحظ: "وكذلك إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام، وملحة من ملح الحشوة والطعام، فيأبك أن تستعمل فيها الإعراب.

وهذا يبين لنا أن عدم التزام المنطوق الجزائري العامي المتفصح منه والمنطوق الفصيح للإعراب ظاهرة لغوية تستدرك فيها اللغة العربية

إلى الفصحى وهي عامية المثقفين، تستعملها الطبقة المتعلمة في مناقشتها وأحاديثها، كما أنها لغة الإعلام والحكومة، والقضاء...، فهي لغة المتعلمين تمتاز بالتزامها لقواعد اللغة، كما أنها تقبل بعض التراكيب السهلة الخاصة بالعامية، نذكر منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر ظاهرة النفي في العامية التي تتم عن طريق "ما" التي تسبق الفعل، و"الشين" التي تلحق بآخر الفعل، ويفضل المتعلمون استعمال هذا المستوى العامي المتفصح لأنهم يجدون فيه راحة وبساطة، فمثلاً إذا ارتبك المتكلم في استعمال اسم الموصول خاصة في المثنى فإنه يفر إلى الاسم الموصول المستعمل في العامية وهو "اللي" الصالح لكل الحالات (المفرد والمثنى والجمع للمذكر والمؤنث معاً)، وهذا الذي قاله الدكتور الحاج صالح:

"لغة مستويات مختلفة من حيث تأديتها فقد رأينا أن الاستعمال اليومي للغة يختلف -بعفويته وعدم تكلفه- عن الاستعمال المحصور في بعض

كما قال William Labov: "لم نتوصل أبداً إلى إيجاد متكلم توصل إلى التحكم في زمام اللغة الفصيحة..."

وقال أيضاً أندريه مارتني: "من الضروري التذكير ببعض النتائج التي استخلصتها من التجربة: أولاً في كل جماعة لسانية لا نجد أشخاصاً يتكلمون بلغة متشابهة في كل شيء، ثانياً يوجد ملايين من البشر الذين ينتمون إلى جماعتين لسانيتين أو أكثر، يعني بالنسبة للمخاطب يستعملون لغة أو أخرى، ثالثاً من النادر وجود شخص يتحدث بلغة واحدة... رابعاً أغلبية الناس يستعملون اللغات بطرق مختلفة حسب المقام..."

ومن خلال تحليلنا للمستويات توصلنا إلى النتائج التالية:

- 1- لا يوجد مستوى فصيح خالص في المنطوق، لاعتبار أساسي وهو أن من خصائص المنطوق العفوية، لأن المتكلم يخاطب مخاطبة مباشرة ومنه فلا يمكنه في أية حال غربة كلامه.
- 2- لا يمكن للمتكلم أن يلتزم

المنطوقة قديماً وحديثاً في الجزائر وفي كل البلدان الغربية وهذا الذي ذكره أنور الجندي في قوله: "كذلك فإن لغة القرآن فرضت على العربية التزامها للإعراب الذي لم يكن شائعاً ومستعملاً على نحو ما التزمه نصوص القرآن.

ج- المنطوق الفصيح: وهي أرقى المستويات، تمتاز بكونها محدودة الاستعمال يستعملها فقط ذوو المستويات الثقافية وخاصة المتخصصون في اللغة العربية كالأدباء والداكترة في المقامات العلمية كمناقشة الأطروحات وإلقاء المحاضرات، وهذا المستوى خاص جداً ومحدود، وذلك لأن المتكلم المتعلم المتخصص في اللغة العربية المحيط بقواعدها لا يعني التزامه المطلق بهذا المستوى ولكن لا إرادياً قد ينتقل من المستوى المنطوق الفصيح إلى المستوى العامي المتفصح حتى وإن كان في مقام علمي، وذلك لأن المستوى المثالي الخالص من كل الشوائب لا وجود له في الواقع اللغوي

فوك: "... يستعمل المتكلم بصفته سوريا العربية المستعملة في وطنه، بالإضافة إلى وجود لغة المتعلمين..."

7 - مفهوم المكتوب: قال Jean Douboi: "المكتوب تمثيل للغة المنطوقة عن طريق إشارات خطية".

فاللغة المكتوبة تمثيل خطي للغة المنطوقة، ولقد عرفها أحمد رضا في قوله: "كتبه وكتبا وكتابة وكتبة: خطه، فهو كاتب..."

فالمكتوب إذن هو الكلام الذي يسجل بالخط على صفحات معينة، والخط يتم عن طريق استعمال القلم أو غيره كما قال أحمد رضا في معجمه: "خطه خطا: كتبه بالقلم أو غيره".

ومنه نقول: إن اللغة المكتوبة تمثيل خطي للغة المنطوقة، لكنها تختص بفئة المتعلمين فقط، لأنها تحتاج إلى تعلم، فنقول إن الإنسان الأمي يملك لغة منطوقة ولكنه لا يملك لغة مكتوبة، فهي إذن خاصة بفئة المتعلمين وتحتاج إلى تعلم وممارسة، أما المنطوق فهو خاصية يشترك فيها كل الناس ما عدا

بمستوى واحد في خطاب واحد، بل وكثيرا ما ينتقل من مستوى لآخر.

3 - لا يملك المتكلم الأمي إلا مستوى واحدا وهو المنطوق العامي الدارج.

4 - إن أكثر المستويات انتشارا في واقعنا اللغوي الجزائري هي:

أ- اللغة المنطوقة العامية الدارجة باعتبارها اللغة الأم لأغلبية فئات الشعب الجزائري.

ب- اللغة المنطوقة العامية المتفصحة باعتبارها لغة المتعلمين الجزائريين.

ج- اللغة المنطوقة الفصيحة وهي أقلهم استعمالا باعتبارها لغة المتعلمين المتخصصين في اللغة العربية، ورغم هذا فإن هذه الفئة تفضل استعمال المستوى الثاني لأنه أكثر مرونة وسهولة لقبوله لبعض الخصائص التركيبية للعامية.

وأخيرا يمكن القول أن اللغة مستويات، وقد قال في ذلك يوهان

القرمادي إلى ذلك في قولها أنه في أغلب الحالات لا تتجسد قواعد اللغة في المنطوق، لأن المتكلم يسعى إلى بذل أقل جهد ممكن انطلاقاً من نظرية الاقتصاد اللغوي التي وضعها أندريه مارتى.

قد أشرنا في الفصل الخامس إلى أنّ خصائص المنطوق تعتمد على الوسائل اللسانية وغير اللسانية كالإشارات مثلاً، والنغمة التي توحى للمستمع أن هذه الجملة استفهام أو تعجب، أما في المكتوب فإن المتكلم يعوض الوسائل غير اللسانية بعلامات الوقف، فعلامة الاستفهام تبين لنا أن هذا الخطاب سؤال، وعلامة التعجب بين لنا أن هذه الجملة تعجب وغير ذلك....

ومما سبق ذكره نستشف أن المكتوب وإن كان فرعاً على المنطوق إلا أنه أكثر دقة وتصنعاً، ما دام المتكلم له وقت كاف لإعادة تنقيح عباراته، والتفنن في ألفاظه وانتقاء الأحسن.

ب- التوسع في الزمان والمكان:

قال الجاحظ: "فأما الخط فمما ذكر الله

فئة الصم البكم الذين هم عاجزون عن النطق لمرض في الجهاز الصوتي.

II- خصائص المكتوب: للمكتوب خصائص وهي:

أ- الكلفة والتصنع: قال الجاحظ: "فاللغة المكتوبة رغم كونها فرعاً على اللغة المنطوقة لكنها أكثر دقة منها وتمتاز بالدقة في التعبير وانتقاء للمفردات وتنوع وتعدد في الصيغ والتطويل وتعقيد في التراكيب.

ما يمكن استخلاصه أن المكتوب يزخر بتعابير متنوعة، لأن المتكلم في مرحلة الكتابة يسعى إلى الأحسن والأجود، بينما في المنطوق يركز أساساً على التبليغ دون البحث عن جودة العبارات.

ولهذا فإن الكلام المكتوب أطول من الكلام المنطوق وهذا الذي أشار إليه J. Peyad.

"... لهذا الخطاب المكتوب أطول من الخطاب الشفوي".

ولقد أشارت الكاتبة جوليات

يقرأ بكل مكان، ويدرس في كل زمان، واللسان لا يعدو سامعه ولا يتجاوزه إلى غيره.

فالمكتوب باق وصالح ومنتشر في كل زمان ومكان بينما المنطوق فهو محدود زمانيا ومكانيا، محدود بزمان صدوره، ومحدود بمكان ذكره، فما أقوله هنا لن يسمع هناك، لكن ما أكتبه هنا سيقرا هناك.

ولقد وضح ذلك الكتاب Louis Lavelle في قوله: "... الكلام المكتوب لا يزول مع الزمن، بل يبقى راسخا".

ومما سبق ذكره نستشف أن اللغة المكتوبة خصائص مختلف فيها عن اللغة المنطوقة، ويمكننا استخلاص ذلك في الجدول التالي:

خصائص المنطوق خصائص المكتوب

1- المنطوق أصل. - 1 المكتوب فرع عليه.

2 - المنطوق أسبق زمانيا من المكتوب. 2 - المكتوب متأخر

تبارك وتعالى في كتابه عن فضيلة الخط والإنعام بمنافع الكتب قوله لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ (٢) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿العلق: ٣ - ٥ وأقسم به في كتابه المنزل على نبيه المرسل صلى الله عليه وسلم حيث قال: ﴿تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ القلم: ١، ولذلك قالوا: القلم أحد اللسانين".

وفعلا فأول آية نزلت على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ذكر فيها الله عز وجل لفظ القلم الذي يرمز للكتابة، وذلك لأن الكتاب أبقى أثرا من المنطوق الذي يزول، بينما المكتوب يبقى راسخا مع مرور الزمن حيث قال الجاحظ: "وقالوا: القلم أبقى أثرا، واللسان أكثر هذرا.

وقال عبد الرحمان بين كيسان: استعمال القلم أن يحض الذهن على تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام، وقالوا: اللسان مقصور على قريب الحاضر، والقلم مطلق في الشاهد والغائب، وهو للغابر الكائن، مثله للقائم الراهن، والكتاب

فالعامية في حد ذاتهم مستويات، فالفئة الأمية منهم التي لا تحسن القراءة والكتابة، لا تملك لغة عامية مكتوبة، بل تكفي بالعامية المنطوقة.

أما الفئة الأخرى، وهي الفئة التي لا تعرف بعض التي أصل القراء والكتابة، تستعمل هذه اللغة كوسيلة لمراسلاتها وما شابه ذلك.

نضيف قائلين أنه كثيرا ما تلجأ هذه الفئة، أي فئة العامة التي تحسن الكتابة إلى تقليد لغة المتعلمين، وذلك في نقلها لبعض التراكيب دون وعي منها أحيانا.

وتمتاز هذه اللغة بصفتها لغة مكتوبة بالتكلف والتصنع إذا ما قورنت باللغة العامية المنطوقة من جهة أخرى، ومن جهة ثانية فهي أرقى مستوى من المنطوق العامي، لأنها لغة تتطلب في ذاتها علما بأصول القراءة والكتابة.

والأمر الذي لفت انتباهنا في واقعنا اللغوي الجزائري هو وجود نسبة كبيرة من الأميين رغم الجهود التي بذلتها بعض الجمعيات كجمعية "اقرأ"،

زمانيا عن المنطوق.

3 - اعتماد المنطوق أكثر على الاقتصاد اللغوي. 3- اعتماد المكتوب أقل على الاقتصاد اللغوي.

4 - المنطوق أقل تكلفا وتصنيعا من المكتوب. 4 - المكتوب أكثر تكلفا وتصنيعا من المنطوق.

5 - اعتماد المنطوق على وسائل لسانية وغير لسانية. 5- اعتماد المكتوب على وسائل لسانية فقط.

6 - المنطوق أقل توسعا في الزمان والمكان من المكتوب. 6 - المكتوب أكثر توسعا في الزمان والمكان من المنطوق.

III- مستويات المكتوب: لا حظنا أن اللغة المنطوقة في الجزائر مستويات، وهذا ينطبق على لغتنا المكتوبة، وهي على النحو الآتي:

أ- المكتوب العامي: وهي لغة العامة الذين يعرفون بعض أصول الكتابة، إذا فهي ليست لغة العامة، لأن الكتابة تتطلب علما ودراية ببعض القواعد،

حسب أستاذتنا هي:

"العربية الحديثة، لغة الإعلام والاتصال، والمناقشات السياسية والجامعية، وأكثر من ذلك لغة كل اتصال يتم بين متكلمين عرب قادمين من بلدان عربية مختلفة بشرط أن يكون لديهم مستوى تعليمي معين".

فالمقصود بالعربية النمطية أو الحديثة اللغة التي تستعملها كل البلدان العربية في كتاباتها، وهي لغة المتعلمين مهما اختلفت تخصصاتهم، ولغة التعليم ولغة الصحافة....

وتسمى أيضا بالعربية المشتركة كما أشار إلى ذلك الدكتور تمام حسان في قوله: "واللغة العربية المشتركة المعاصرة ليست لغة الشعر الجزائري، وليست لغة القرآن والحديث، وإنما هي لغة تشترك مع هاتين في نواح وتختلف عنها في نواح أخرى مهمة، إنها مرحلة لاحقة من مراحل تطور اللغة العربية تمتاز بخصائص معينة في حياتها".

وختاما نستنتج أن العربية النمطية هي القاسم المشترك بين كل المتعلمين،

وخاصة أصحاب الجيل القديم، إذ نجد البعض منهم يعرف بعض تقنيات الكتابة باللغة الفرنسية، وهو عاجز عن كتابة اسمه باللغة العربية، ولأبرز دليل على ذلك أن هذه الفئة رغم جهلها لأصول الكتابة باللغة العربية، إلا أنها تتمكن من ملء صك بريدي باللغة الفرنسية، وهذه من البقايا السلبية للاستعمار الفرنسي، لكن في هذه الآونة الأخيرة لاحظنا إقبالا كبيرا لبعض الأميين إلى جمعية اقرأ محاولين بذلك تجاوز هذا الداء الخبيث ألا وهو الأمية.

وخلاصة القول أن عاميتنا المكتوبة ليست لغة مبتذلة، بل تمتاز بنوع من التكلف والتصنع والتنقيح، يكفينا فقط أنها لغة تخص فئة معينة من العامة، وهي الفئة التي تحسن بعض أصول القراءة والكتابة.

ب-العربية النمطية: لقد تطرقت

أستاذتنا الدكتورة خولة طالب الإبراهيمي إلى مستويات اللغة، كما بينت اختلاف المصطلحات، ومن هذا المنطلق فإن العربية الحديثة أو النمطية

وإنها دائما في تفاعل مستمر معها ونقول كما قال الجاحظ: "وكلام الناس في طبقات، كما أن الناس أنفسهم في طبقات.

-السياق: ورد في لسان العرب لابن منظور: "ساق الإبل يسوقها سوقا وسياقا، وتساقوت الإبل أي تابعت".

وقد تكون كتب التفسير وكتب الأصول من أوائل الكتب التي تبلور فيها معنى السياق كمصطلح، كما نجد ذلك في الرسالة للإمام الشافعي (ت 204هـ)، وتطلق لفظة (السياق) في عرف المفسرين على الكلام الذي خرج مخرجا واحدا، واشتمل على غرض واحد هو المقصود الأصلي للمتكلم، وانتظمت أجزاؤه في نسق واحد، وقد تدل على السياق ألفاظ أخرى، كالمقام ومقتضى الحال والتأليف، وغيرها.

وتعرف المعاجم الحديثة (السياق) بأنه "بيئة الكلام ومحيطه وقرائنه" ويعرفه آخرون بأنه "علاقة البناء الكلي للنص بأي جزء من أجزائه، وتؤكد هذه المعاجم الحديثة إلى تضافر

ولهذا سماها اللغويون العربية المشتركة أو الحديثة.

ج-مستوى التأدية الراقية: وهي

أرقى المستويات فصاحة، وإن كنا في الحقيقة لا نجد لها تجسيدا في واقعنا اللغوي، لأنه كما قال اللسانيون لا وجود للشكل المثالي للغة، ويبقى النموذج الأرقى للغتنا العربية في كل زمان ومكان القرآن الكريم، وما يمكن اعتباره مثاليا في واقعنا اللغوي هو اللغة الأدبية التي تمتاز بجودة تعابيرها وبراعة ألفاظها وبصورتها الزاخرة الفنية، لأن الأديب هو فنان في حد ذاته يصور الجمال، وقد قدّم الباحث أبو بكر حفيظي وصفا لهذا المستوى في قوله: "وهو ما يمكن تسميته بالمستوى الفني البليغ، ويتسم بالتجويد والجمالية والوجدانية، وفيه يلجأ الأدباء والشعراء لنقل معانيهم وتجاربهم إلى أعمال الفكر والرواية..."، ويبقى مجال هذا المستوى مقتصرًا على الأدباء.

وما يمكننا استنساخه مما سبق ذكره أن اللغة تخضع للعوامل الاجتماعية

الكلام عبر أنظمة اللغة لا يمكن دراستها بمعزل عن السياق الذي حصل فيه فعل الكلام، وهو ما عبر عنه علماء البلاغة بقولهم: "لكل مقام مقال"، كما إن دراسة التشكيل الكلامي ومكوناته من الداخل ستوصلنا إلى تفسير النظام اللغوي.

ويعرف النص بأنه كل كلام متصل ذو وحدة جلية تنطوي على بداية ونهاية وتتسم بالتماسك والترابط، ويتسق مع سياق ثقافي عام أنتج فيه، وينسجم مع سياق خاص أو مقام، يتعلق بالعلاقات القائمة بين القارئ والواقع من خلال اللغة وبين بداية النص وخاتمته مراحل من النمو القائم على التكامل الداخلي، وتوافر العناصر السابقة وتفاعلها يؤدي بالنص إلى إحداث وظيفة التي تتمثل في خلق التواصل بين منتج النص ومتلقيه.

يستخدم مصطلح الخطاب للدلالة على كل كلام متصل اتصالاً يمكنه أن ينقل رسالة كلامية من المتكلم أو الكتاب، والخطاب كالنص غير أن

سياقات عديدة في النص تساهم في صياغة الرسالة اللغوية، وهي السياقات النحوية، والبلاغية، والصوتية.

وقد اهتم النقاد والداليون واللسانيون والأسلوبيون بالسياق من وجهات مختلفة، فدرسوا سنن استخراج السياق من خلال البنى المختلفة للرسالة اللغوية، واهتم علماء الدلالة بالمعنى السياقي، أمثال جون لايتير وفيرث.

يمثل السياق ركناً أساسياً في فهم الرسالة اللغوية، ويأتي السياق في نوعين: السياق اللغوي، والسياق الحالي، والأول يرتبط بمعنى الكلمة في إطار الحديث أو النص، والثاني سياق الحال أو المقام الذي يزيل اللبس والغموض عن الجمل والنصوص لأنه يمثل مجموعة من العوامل البيئية والاجتماعية والنفسية، ويعبر "غرارها هو" عن هذا المعنى بقوله: "إن قراءة القصيدة خارج سياقها لا تعد قراءة أبداً.

إن الوظيفة الاجتماعية التي يؤديها

الأول والأخير نشر الوعي، تربية النشء، القضاء على الفتن، تهذيب النفوس، تصحيح المفاهيم الخاطئة، إلى غيرها من المعاني النبيلة التي يمتاز بها الخطاب الديني المسجدي ويمكننا تلخيص أهم مميزاته فيما يلي:

- 1 - استخدامه للغة المناسبة معتمدا على مبدأ "لكل مقام مقال".
- 2 - اعتماده على كثير من الوسائل غير اللسانية.
- 3 - اعتماده على الصور البيانية والمحسنات البديعية التي تزيد المعنى وضوحا واللفظ جمالا.
- 4 - اعتماده على الاستشهادات من القرآن الكريم ومن السنة النبوية ومن التراث الإسلامي عموما.
- 5 - تنوع مواضيعه.

مميزات الخطاب الديني المسجدي النسوي: اللغة كائن حي ينمو ويتغذى من مخلف العوامل المحيطة به كما قال عبد الصبور شاهين، وقال Christian Baylon: "رجال ونساء من نفس

ليس كل خطاب نصا، وإن كان كل نص بالضرورة يشكل خطابا، فالكلام المتصل خطاب، ولكنه لا يكون نصا إلا إذا اشتمل على بداية ونهاية، وعبر عن موضوعه ببناء متماسك منسجم، ويعد السياق ركنا أساسيا في فهم الرسالة اللغوية.

أسس الخطاب الديني المسجدي: يعد الخطاب الديني المسجدي خطابا جامعا شاملا لكل الأنواع باعتبار وظيفة المسجد في حد ذاته فهو مدرسة المسلمين تقصده كل شرائح الاجتماعية من الأمي والمتعلم، إلى الفقير والغني، وبالتالي فهو يتنوع في مواضيعه بتنوع فئاته.

أشرنا إلى وظيفة اللغة في الخطاب، فبينما مستوياتها على أساس أن الخطيب في المسجد غالبا ما يستخدم اللغة المتفحصة حتى يتمكن من تبليغ كل الفئات.

ينحصر المستوى الفصيح في فئة المتعلمين، وعلى الخطيب أن يراعي هذا الأمر مراعاة دقيقة، لأن هدفه

الإطناب، فإن المرأة خاصة التي مستواها محدود تميل إلى التكرار حتى تتمكن من الفهم.

-الوضوح: غالبا ما يمتاز الخطاب بسهولة العبارة، ووضوح المعنى، لأن الفرض الأساسي هو الإقناع.

-إثارة الشعور: يحتاج الخطيب إلى زعزعة مشاعر المستمعين، والمرأة رهيبة المشاعر تبكي لبكاء غيرها، وتفرح لفرح غيرها.

-التمثيل: ونقصد به تصوير الواقع، وضرب الأمثلة حتى تتمكن المرأة من تصور الواقع الحقيقي بإيجابياته وسلبياته، وحتى تتمكن من تجنب الوقوع في مثل هذه الأخطاء.

الطبعة لا يتكلمون بالضرورة بنفس الطريقة...".

وقال أيضا: " لكل متكلم تأدية خاصة في الخطاب، والمرأة يختلف خطابها عن خطاب الرجل".

فما هي أوجه الاختلاف؟

1 -اختلاف طبيعي: الطبيعة الفطرية للمرأة وهي إقبالها على البيت خاصة المرأة الماكثة بالبيت يجعلها جاهلة لأمر كثيرة، وعليه فهي غالبا ما تقصد المسجد لمعرفة شؤونها المختلفة على خلاف الرجل بطبعه يحتك بغيره.

2 -اختلاف الاهتمامات: تسعى المرأة لمعرفة أحكام دينها كترية أبنائها وحقوق زوجها عليها فإن الخطاب المسجدي النسوي يخضع لخصائص فطرة المرأة التي تميل فيها إلى معرفة شؤونها وشؤون بيتها، بالإضافة إلى ضرورة التزام الخطاب المسجدي النسوي ببعض الخصائص نوجزها فيما يلي:

-الإطناب: وإن غلب على الخطاب